من شعراء هَجَر المبدعين .. جابر بن حجّي الجميعه .

جابر بن حجي الجميعه .. (المارد) القادم إلى ساحة الشعر العربي بكل عنفوان وزهو نخيل الأحساء .. هكذا أشتهي أن أسميه منذ ارتبكَت دقات قلبي من شد ما انتشيتُ بما سمعته من ذوب فؤاده .. فؤاد جابر .. وما أدراك .. فهو الذي يمسك بالقلم .. وهو الذي يتدفق فوق الورقة .. وهو الذي ينسلّ إلى عروقك عندما يبدأ جابر في التلاوة و تبدأ أنت في الخشوع .

آتٍ إليك كما يجيء الناعي

متلفّعًا بالحزنِ والأوجاعِ

آتٍ وفي قلبي بريد حرائقٍ

ذاب الطريقُ بحملها والساعي

أرأيت كيف جاء جابر ؟ تماما كما يجيء شعراء (هَجَر) متلفعين بأحزانها ، مضرجين بأوجاعها ، أحزانُها التي لا تشيخ ، وأوجاعها التي لا يغمض لها جفن

و بجُرعتين من القصيدِ

أخفف التعب الطويل من الخيالْ

وأدُور حول المشهد الشعريّ

أكتبُ ثم أمحو

ثم أسهبُ في المقالْ

وهناك بين قصيدتين

من الذي أنساه حين يطوف بي المعنى

لأفهمُ أنّ ما يُنسى يموت فلا يُقالْ

وأصابُ بالنجوى ثلاثاً

حينها أصحو على نفس الخطيئة

والسؤال هو السؤالْ

أَي وربك يا جابر .. إنّ السؤال هو السؤال : مِن أين يجيء هؤلاء المنذورون للوجد بكل هذا الجَلَد ؟ وبكل هذه المداراة لتباريحهم ؟ ستقولون لي : من جَلَد ومن صبر أمهم النخلة ، هذه الصابرة الأزلية الشاهقة كأحلامهم ، المتبرجة لهبوب الرياح من كل جهاتها ، لا تعرف إلا الزهو والكبرياء والانتظار ، فلا تدري عندما تسمع أحدَهم أبلسانه يُنشد أم بلسانها :

وحيٌ يجيئُ من اللاشيئ يهمسُ لي

فأرتقي حيث لا أرضٌ ولا سُحبُ

كأنني وأنا أعلو مجازفةً

طيراً على عتبات الريح ينتصبُ

وأحمل الشوق في أطراف أجنحتي

ناراً تُذيبُ الحنايا وهي تلتهبُ

مـمـلـؤةً بـــغـلال الـشـعر صـومـعتي

فـهـل مـــلاكٌ مِـــن الإعـجـازِ يـقتربُ ؟

مـوَلـعٌ فـــي هـواهـا مُـنـذ أنْ نـظرَت

إلـــيّ وهـــي بـهـذا الـبـوح تـنـسكبُ

ولا تدري عندما يتغزل جابر أكان يتغزل بنخلة فتيّة في فناء داره ، أم يتغزل بغادة حسناء تتمادى في دلالها عليه :

عـلـى قـيدِ الـمحبةِ والـوصالِ

و مِـن عـبقٍ نـديٍّ في الظِلال

أُروادُ خـاطـري وأمُـدُ طـرفـي

لـمُـرهفةٍ تـمادت فـي الـدلال

كـأنَّ الـصُـبحَ قـاسـمها نـداه

و ألـبسها الجَمال على الجَمالِ

إذا رفـعت عـن الأكـتافِ شـالاً

يـميلُ بـخصرها قـمرُ الـلـيالي

أُحـبـُكِ يـــا مُـعـذبتي و إنّـــي

أغـارُ عـلى خـيالكِ من خيالي

أحيانا يتقمص جابر روح النخلة و تتقمص هي روح جابر في قصيدة واحدة ، تترجم النخلة الهَجَرية عن همومها ، و يترجم جابر عن وجده :

أراقبُ آلان مَـن غـابوا ومـن حضروا

وحـدي وهـذا الهَوى المُمتد والسَهر

وَحـدي أحِـيك تباريحي وليس سوى

روح الـقـصيدة تـطـغى ثـم تـنحسر

أخـتـارُ سُـمر الـقوافي كـلما نـضجت

قـصيدة أشـتهيها ، يـختفي الشَجر !

وحـدي هـنـا أتـحرى صـوت فـاتنةٍ

تُـجـيد جَـبـر الـقـوافي حـين تـنكَسرُ

فـمـي مـدارٌ لـقُـبـلاتٍ مـؤجـجـةٍ

مِـن أولِ الـثَغرِ حـتى يـنتهي الـمَدرُ

أحـتـاجُ ثـورة فُـسـتـانٍ و عـاشـقةٍ

لا تَـفـهم الـعـشِق إلا حـين تـنشطرُ

أحـتـاجُ سـورةَ أحـزانٍ أُرتـلـهـا

لـرُبـما تـنـفـع الآيـات والـسِـورُ

أنـا هُـنـا مُـنـذ عـهـدِ الـتـيهِ مُـنـتظرٌ

فـهَـل ؟ أُلامُ إذا فـي الـحُـب أنـتـظرُ

أنـا هُـنـا وحـكـايـاتي تُـسـائـلني

مـتـى ؟ ومِـن أيِ بـابٍ يـدخل الـقمرُ

وحـدي هُـنـا أتـنـامى مـثل عـاصفةٍ

خـرسـاء تـضـربُ أوجـاعي وتـنحسرُ

ففي البقايا التي تنسابُ مِن وجعي

تـأتي الـقصيدة سـكرى كُـلما ذُكروا

فهو إذن ينتظر عاشقة لا تفهم العشق إلا حين تنشطرُ ! والنخلة الهَجَريّة تنتظر قمرها الممعن في الغياب ، ولا تدري من أي باب سيأتي ذلك القمر ؟

وإذا شئنا أن نظن أن جابرًا لا يخاطب إلا نصفه الآخر ، فسنجد الكثير من الشواهد التي لا تقبل التأويل كقوله :

البحرلا يغرق العُشاق يا ولدي

لو آمتطى عاشقٌ زنداً لعاشقةٍ

لكنما تغرق الدنيا بأكملها

إذا تخاصمتِ القبلات و الشفةِ !

وكقوله :

يا أعذبَ الكلمات إذ تحكي

فتقول لي : (مُشتاقةٌ جدا)

تتقاطرُ القُبلاتُ من شفتي

لتذوب فوق شفاهها شهدا

وكقوله :

نا فارس القُبُلات أحرس ثغرها

وعلى الشفاه أقمتُ كل فتوحي

إن شئتُ أنْ أخفي الغرام فها أنا

أُخفي الغرام ولا تجف جروحي

والعاشقون على امتداد قصائدي

يـمـضون مـذبـوحا إلـــى مـذبـوح

أو حين يقول :

وهـــــواكِ حـيـن يـزيـد عـــن قـلـقي

أدعـوه كـي يـكسر الـروتين بالأرقِ

وأرتجي الشوق حتى تعبرين معي

هـذا الـجنون ومـا أخـفيه من نزقي

أما أذا كنت تبحث عن حقيقة هذا المفتون بالتباريح ، فهي أكبر و أكبر ، إنّ همّه الإنساني ينداح ليتجاوز حدود الطين و خرائط الماء :

بـالـحُـزنِ بـالـبـؤسِ بـالأوجـاعِ ألـتـحفُ

أنـــا الـشـفيف الـــذي مـــا زلـتُ أرتـجفُ

صـمتي حـكاياي قـلبي لـم يَـعُـد بـيدي

ربـــــاهُ أيُ الـــبـــلايـا كـــنـــتُ أقـــتـــرفُ

يـقسو بـي الوقت حتى خِلتُ أن معي

كل الشموس التي في الكونِ تنكسفُ

أنـــا اليـقـين الـــذي لاشـيء يُـقـلقهُ

وبـــاتَ مـــن شكـهِ الـمـغمور يـغـترفُ

ســهَـا بـــيَ الـْحـُلـْم فـاتـتني قـصـائدهُ

وكـــادَ حـــادي الـقـوافي الـغـّـُر يـنحرفُ

سـافـرتُ بـيـن ظـنـوني جـئـتُ مُـنتحلاً

شـوقـاً عـلـى شُـرفاتِ الـوجد يـنتصفُ

وكُـــنـــتُ أفـــتـــحُ أوجـــاعـــي وأغـلـقـها

خـوفـاً بـــأن تـجـلس الآهـــات أو تـقـفُ

سُـلافـتي أن دمـعي جـفـّ َ مـن مُـقلي

حـتـى ذرفـــتُ بـقـايا الـــروح فـانصرفوا

نـاديـتـهم دون جـــدوى كـــان آخـرهـم

يُـصغي ولـكن شـكا من فرطِ ما وصفوا

وحـيـن شـاخت عـلى الأطـلال صـبوتنا

بـتـنَـا نـُخـمنُ هـل تـأتـي بِـنـا صـُدفُ

ويضع نقطة على الحرف لمن التبس عليه أمرٌ ما من أمر هذا الجابر الذي يخاتل البوصلة حتى لا تتيه خطاه :

مـا زِلـتَ تـزهو ويـزهو حـولكَ الألـقُ

كـأنَّ وجـهـكَ بـدرٌ والـهـوى أُفـقُ

والـعاشقون عـلى مـعنَـاكَ قد قبضوا

في صفقةِ الحُبِ جمراً حينما عَشقوا

خُـذ يـا (حـسين) هـوانا واحتضنهُ إذا

نادى المُنادي لمَن في حُبِّهم صدقوا

وكأنه يعقّب على مناجاته الحسينية هذه ، و يؤكد عشقه وولعه وإيمانه بالحسين :

أرَجُ الـصـبـابةِ والـهـوى وبـيـاني

و وصـايـة الأشـعـار لـلأوزان

والجامحات من انفلات مشاعري

وقـفتْ وخـوفي عـالقٌ بلساني

حـتـى إذا أفـنـيتُ كُـل قـصائدي

أبـصرتُ مـن أهـواه فـي ديواني

ولن نترك جابرا يمضي و يتركنا هنا .. سنطلب منه أن يختم بالحديث بألسنتنا جميعا نحن الذين نشاركه العشق و نتلقف أناشيده كما يتلقف الشجر غناء العصافير كل صباح :

في وحدتي الآن أمضي ثم لا أمضي

أوزعُ الخوف من بعضي على بعضي

أخـالـُـني عـابـراً مـا مـرَّ فـي جـهـةٍ

إلا و جُـوبِـهَ بـالـتـرويـعِ والـرفـضِ

أخـالـُـني تـائـهـاً يـرنـو إلـى جـهـةٍ

كُـل الـجهاتِ سجونٌ حـيثُما تُـفضي

وإن هـممتُ بـأن أشـكو أرى جسدي

مـا بـين قـبضةِ هـذا الـقلب والـنبضِ

أُعـيـدني ثُـم أمـضي حـيث أسـألني

هـــل لـــلسماءِ أُصـليّ أم إلـــى الأرضِ

ذلك هو جابر بن حجي بن صالح الجميعه ، المولود في الأحساء ببلدة الجفر منتصف عام 1398هـ ، والذي سعدنا به زميلا في (منتدى الينابيع الهَجَريّة) منذ عام 1435هـ ، والذي نشر الكثير من قصائده و شارك في الكثير من الفعاليات الأدبية داخل المملكة و خارجها .

وهذه ليست دراسة نقدية ، بل مجرد عبور مُحِبّ بمحاذاة بضعة ترانيم من إنجيل هذا الشاعر البهيّ ، المنفتح على أفق مترامي الأطراف من العذوبة و من الشجى المرير .